المحاضرة السادسة: نظرية الفوضى الاجتماعية

البنية الاجتماعية، والجريمة

تقديم:

نظرية الفوضى هي مجال للدراسة في العلوم الطبيعية والفيزياء والرياضيات، إلا أن لها تطبيقات في العديد من التخصصات، بما في ذلك علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى. في العلوم الاجتماعية، نظرية الفوضى هي **دراسة النظم المعقدة. الأمر لا يتعلق بالاضطراب، بل هو عن أنظمة نظام معقدة للغاية.**

إن الطبيعة، بما في ذلك بعض حالات السلوك الاجتماعي والنظم الاجتماعية، معقدة للغاية، والتنبؤ الوحيد الذي يمكنك القيام به هو أنه لا يمكن التنبؤ به.

كما أن نظرية **الفوضى الاجتماعية** هي نظرية اجتماعية **ترفع** من تأثير الحي السكني(البيئة) الذي ينشأ فيه الفرد في احتمال أن **يرتكب** جرائم. وتم **تطويرها** من قبل مدرسة شيكاغو وتعتبر واحدا من أهم النظريات **البيئية** لعلم الاجتماع.

وفقًا لهذه النظرية، فإن الأشخاص الذين يرتكبون جرائم **يتأثرون** بالبيئة المحيطة بهم، حتى أكثر من تأثرهم بخصائصهم الفردية. أي أن المكان الذي يعيشون فيه أهم من شخصيتهم لتحديد مدى تعرض الفرد لارتكاب جريمة. ما

تستخدم نظرية الفوضى في العلوم الاجتماعية لدراسة سلوك **الأنظمة** والنظم المعقدة. فقد بينت الأبحاث والدراسات أن العديد من الظواهر الاجتماعية من الممكن وصفها باستخدام نظرية الفوضى، حيث تظهر في هذه الطبيعة غير المحددة والغير متوقعة والعشوائية.

في **الاقتصاد،** يستخدم مفهوم الفوضى في تحليل الأسواق المالية والتنبؤ بتقلبات الأسعار والاستجابة للتغييرات في قوى العرض والطلب، بالإضافة إلى تحليل إدارة المخاطر والاستثمارات.

ويستخدم نظرية الفوضى أيضًا في دراسة **السياسة والعلاقات الدولية،** حيث تمثل تطورات الأحداث في الشرق الأوسط مثالاً كبيراً لهذا النوع من التطورات. وكذلك، تستخدم الفوضى في دراسة **المجتمعات** والتفاعلات الاجتماعية والحالات التي تقوم فيها الأحداث العشوائية بتغيير أساليب الحياة والثقافة والاتجاهات المجتمعية.

نشأة النظرية:

تنشَأ على مَرِّ السنين الكثيرُ من النظريات الاجتماعية بحكم التراكم المعرفي وسيرورة البحث العلمي في المجتمعات الغربية، وهي نظريات تُحاول أنْ تُفسِّر الحركات والسلوكيَّات المختلفة التي تتَّخِذها الأشياء من حولنا، وإيجاد العلاقة بين هذه الأشياء ومسبباتها.

ومن هذه النظريَّات النظرية **السلوكيَّة** التي درست سلوكَ الإنسان، وقارنته بسلوك الحيوان، مُستخدمةً الحيوان في إجراء التَّجارب؛ من أجل فهم السلوك الإنساني، واعتمدت المدرسة السلوكية التجريبَ كوَسيلة للوصول إلى النتائج.

وتلتها النظريَّة **المعرفية** القائلة بأنَّ الإنسانَ كِيانٌ مُفكر، وليس كالحيوان، بل يحكم سلوكه غالبًا التفكير والمعرفة, وقسمت فيها مراحل نُمُو المعرفة إلى 4 مراحل حسب تطوُّر الإدراك والتفكير لدى الفرد.

ثم ظهرت النظريَّة **البنائية**، وقد ركَّزت على أنَّ المعارف التي يَعرفها الإنسان ليست لحظيَّة، وإنَّما هي تراكمات لمعارف سابقة أضيفت إليها أخرى لاحقة في فتراتٍ مُختلفة، فسميت **بنائية**؛ لأنَّ المعلومات والمهارات والخبرات **تُبْنَى** على مدًى طويل، فالطفلُ تنمو معارفه وتتراكم حتى يكبَر معتمدًا بداية على الخبرات السابقة، ثم يبدأ بالتعلُّم ذاتيًّا، حتى يصل لبناء مفهومه الخاص به.

ثُمَّ نشأت نظريةٌ تسمى نظريةَ **التوقُّع**، ومعناها باختصار أنَّ كلَّ فعل يُؤدَّى يُتوقع له نتيجة، فمن يتعلم" نتوقع "أنْ يَحصل على شهادة.

وتُعَدُّ من النظريَّات المهمة في تفسير الحافز عند الأفراد، وجوهر نظرية التوقُّع يشير إلى أن الرغبة أو الميل للعمل بطريقة مُعينة يعتمدُ على قوة التوقُّع بأن ذلك العمل أو التصرف سيتبعه نتائجُ مُعيَّنة، كما يعتمد أيضًا على رغبة الفرد في تلك النتائج.

وهكذا تعاقبتِ الكثيرُ من النظريَّات العلميَّة حتى نشأت نظريَّة الفوضى الاجتماعية، وهي من النظريات المثيرة جدًّا، التي انتشرت حديثًا، ولاقت اهتمامًا واسعًا؛ لتفسيرها الكثيرَ من الأمور التي توقَّفت النظرياتُ العلمية السابقة عند تفسيرها،ولتزيل الكثير من الغموض حولها، وأصبح من الممكن إيجادُ الصِّلة بين الأمور المتباينة، أو توقع الرابط بينها[1].

[1] رابط الموضوع: https://www.alukah.net/social/0/21969/%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%88%D8%B6%D9%89-Chaos-Theory/#ixzz8XHELjkFH

نظرية الفوضى الاجتماعية واسهامات شو ومكاي (Shaw & McKay) :

تفترض نظرية الفوضى الاجتماعية أن معدلات الجريمة ثابتة في المناطق ذات الظروف البيئية المعينة، مثل ارتفاع معدلات البطالة أو التقلب السكاني أو الانحلال المادي. وتحول هذه الظروف دون **التنظيم** الاجتماعي **والتماسك** الاجتماعي في الحي وبالتالي *السيطرة* الاجتماعية **غير** الرسمية على الجنوح. بمجرد انتشار الجريمة، كما **تنتقل** المعايير والقيم الإجرامية التي **تتنافس** مع القيم المعيارية ثقافيا وتنتقل إلى سكان جدد. ونتيجة لذلك، فإن معدلات الجريمة تزداد في مناطق معينة.[2]

تم تطوير نظرية الفوضى الاجتماعية من قبل كليفورد شو في عام 1929 ونشرت في عام 1942 بالتعاون مع مساعده هنري مكاي.

في عام 1929 ، كجزء من دراسته "جنوح الأحداث والمناطق الحضرية" في شيكاغو ، قام **شو** بالتحقيق في أماكن إقامة 60000 شاب من الذكور الذين تم تسجيلهم من قبل المدينة أو الشرطة أو المحاكم كمغيبين عن المدرسة أو مجرمين. ووصف المناطق التي يعيش فيها عدد كبير من الشبان الخاضعين للتحقيق بأنها "مناطق جنوح".

قدم **شو** مفهوما آخر، وهو مفهوم "**المناطق الطبيعية**" ، وهي المناطق التي تتميز عن محيطها بخصائص جغرافية واجتماعية وثقافية معينة والمناطق التي تشكلت في سياق النمو الحضري الطبيعي. كان **شو** يشير إلى عمل عالم الاجتماع الكندي **إرنست بورغيز**. جنبا إلى جنب مع زميله **روبرت عزرا بارك**، صاغ نهجا اجتماعيا بيئيا في علم الاجتماع الحضري في عام 1925. باستخدام مدينة شيكاغو كمثال ، طور Burgees and Park نموذج منطقة متحدة المركز يقسم المدينة إلى 5 مناطق.

[2] Social disorganization theory (Shaw & McKay) - SozTheo

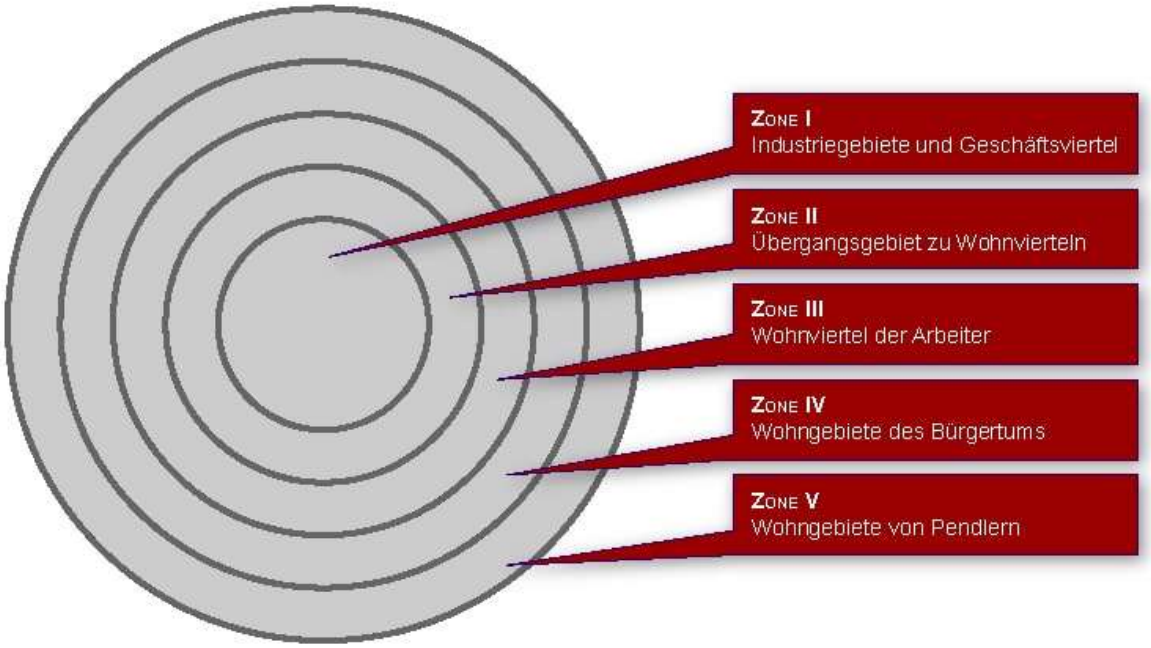

1. تمثل المنطقة 1 وسط المدينة مع المدينة الداخلية. تقع المناطق التجارية بشكل رئيسي هنا وتقع المناطق الصناعية على حافة هذه المنطقة الأولى.
2. يصف المؤلفون المنطقة 2 بأنها منطقة عبور بين المناطق التجارية / الصناعية والمناطق السكنية.
3. تحتوي المنطقة 3 على مناطق سكنية للعمال.
4. تحتوي المنطقة 4 على المناطق السكنية للطبقات الوسطى.
5. المنطقة 5 تحتوي على الضواحي. هذا هو المكان الذي يعيش فيه الركاب الذين يتنقلون بين منازلهم في ضواحي المدينة ومكان عملهم في المدينة.

في دراستهما ، وجد **شو ومكاي** أن جنوح الشباب الذين تمت دراستهم لا يتم توزيعه بالتساوي في جميع أنحاء المدينة، ولكنه يتركز في مناطق فردية. تتطابق "**مناطق الجنوح**" ذات معدلات الجريمة المرتفعة بشكل خاص إلى حد كبير مع "المناطق الطبيعية" التي حددها بورغيس وبارك. وجد الباحثون أعلى معدل جريمة في المنطقة الانتقالية 2، مع انخفاض معدل الجريمة إلى الخارج.

في ثلاثينيات القرن العشرين ، وسع شو **ومكاي** تحقيقاتهما إلى أربع مدن أخرى في أمريكا الشمالية وفحصا أماكن إقامة الأحداث المشتبه بهم والجانحين الذين تتراوح أعمارهم بين 16 و 18 عاما. وجدوا أن

نتائج دراستهم من شيكاغو تم تأكيدها هنا أيضا. في كل من هذه المدن، كانت هناك مناطق ذات معدلات جريمة مرتفعة بشكل خاص. ووصفوا هذه "المناطق الجانحة" على النحو التالي:

1. ارتفاع معدلات الجنوح والتغيب عن المدرسة.
2. ارتفاع معدل وفيات الرضع.
3. ارتفاع عدد مرضى السل.
4. الاكتظاظ السكاني.
5. عدد كبير من الأسر التي تعيش على دعم الدولة، بنية اجتماعية غير مواتية ، بسبب نقص الأنشطة الترفيهية، ولكن أيضا بسبب ارتفاع حركة السكان.

وخلصوا أيضا إلى أنه ينبغي النظر إلى معدلات الجريمة المرتفعة بشكل **مستقل** عن التركيبة **العرقية** للسكان، مما يشير إلى أن **المنطقة** نفسها هي مصدر الجريمة. قد يؤدي هذا إلى استنتاج مفاده أن بعض العوامل كانت موجودة في هذه المناطق منذ عقود، وأن هذه العوامل تستمر في "إصابة" الشباب بالجريمة، بغض النظر عن ثقافة وقيم الأشخاص الذين يعيشون هناك.

وثمة نهج تفسيري ثان يتمثل في افتراض أن الفضاء **يجتذب** المجرمين. – كانت مناطق الجريمة تقع حيث كانت الأحياء هي الأكثر تهالكا وجذبت الفقراء بشكل رئيسي بسبب انخفاض الإيجارات. في هذه الأحياء، تحت ضغط قوى **التفكك** الاجتماعي، تم حل الروابط الاجتماعية وبالتالي كانت الجريمة أعلى (انخفاض السيطرة الاجتماعية).

فيما يتعلق بالبنى الاجتماعية المختلفة، تم تشكيل عدة حلقات حول المدينة الداخلية. وفقا لهذا التوزيع من الداخل إلى الخارج، انخفض عدد الجرائم.

الانتقال الثقافي:Cultural transmission

توصل **شو ومكاي** إلى استنتاج مفاده أن معدلات الجريمة المرتفعة **مستقلة** عن التكوين العرقي للسكان. لعقود من الزمان، كانت المناطق التي تعاني من الجريمة مأهولة بشكل أساسي بمجموعات عرقية (مهاجرة) مختلفة (الألمان والأيرلنديون والبولنديون والروس وأخيرا السود من جنوب الولايات المتحدة الأمريكية). على الرغم من التقلبات السكانية، ظلت الجريمة في المناطق التي تمت دراستها ثابتة نسبيا. لم تسجل المناطق التي انتقل إليها السكان الأصليون زيادة في الجريمة.

وقد أدى ذلك بالمؤلفين إلى افتراض أن المنطقة نفسها **تنتج** الجريمة. يمكن أن نستنتج من هذا أن بعض العوامل موجودة في هذه المناطق على مدى عقود والتي "**تصيب**" الشباب مرارا وتكرارا بالجريمة.

وراء هذا التأثير، المعروف باسم **الانتقال** الثقافي، تكمن فكرة أن المواقف المعيارية المنحرفة والتقاليد الجانحة لمجموعات الشباب تنتقل من جيل إلى جيل. ينتقل السلوك المنحرف من أعضاء العصابات الأكبر سنا إلى مجموعات من الأطفال والشباب، وبالتالي يتفوق على وجود أفراد معينين.

التفسير الثاني هو افتراض **الجذب المكاني**. كانت المناطق التي تعاني من الجريمة تقع حيث كانت الأحياء هي الأكثر تهالكا، وبسبب انخفاض الإيجارات ، اجتذبت بشكل رئيسي الأشخاص المتضررين من الفقر. في هذه المناطق السكنية، تم حل الروابط الاجتماعية تحت ضغط قوى التفكك الاجتماعي. هذا الانحلال للسيطرة الاجتماعية غير الرسمية يؤدي إلى زيادة الجريمة.

الآثار المترتبة على السياسة الجنائية

لمعالجة الفوضى الاجتماعية، يقترح مؤيدو النظرية تدابير تعزز **التكامل** الاجتماعي **وتحسن** التعليم **واستقرار** الظروف الاقتصادية. من خلال **تعزيز** الروابط الاجتماعية وآليات التحكم، فإن الهدف هو الحد من التعرض للسلوك الإجرامي.

تعمل ملاحظات شو وماكاي حول الفوضى الاجتماعية كنقطة انطلاق للتحليلات الإقليمية المجتمعية. إن **إدراك أن الجريمة يمكن أن تنبع من الفضاء** هو أيضا نقطة انطلاق لبرامج منع الجريمة الحضرية.

يمكن أيضا العثور على افتراض الانتقال الثقافي للمعايير والقيم المنحرفة في شكل مماثل في نظريات التعلم الإجرامية المختلفة. يمكن أيضا العثور على العلاقة بين الجريمة وضعف السيطرة غير الرسمية في نظريات التحكم.

كما تظهره نظرية النوافذ المحطمة[3] واستراتيجية الشرطة التي لا تتسامح مطلقا المستمدة منها أوجه تشابه مع نظرية الفوضى الاجتماعية. أخيرا ، هناك العديد من أوجه التشابه مع عمل أندرسون في قانون الشارع فيما يتعلق بموضوع التحقيق ، ولكن أيضا الأساليب التفسيرية للسلوك المنحرف.[4]

اهم الانتقادات الموجهة للنظرية:

النقد الرئيسي لنظرية الفوضى الاجتماعية كتفسير للسلوك المنحرف والجريمة هو أن المسؤولية عن الأفعال الفردية تنتقل من الفرد إلى المجتمع. كما تعرضت النظرية لانتقادات بسبب نقاط ضعفها المنهجية. وبما أن أصحاب البلاغ يعتمدون على جرائم مسجلة رسميا، يمكن افتراض أن الجناة من الطبقة الوسطى ممثلون تمثيلا ناقصا وأن الأشخاص ذوي الدخل المنخفض وأفراد الأقليات العرقية ممثلون تمثيلا زائدا.

وعليه، يمكن صياغة الانتقاد الأساسي بأن نظرية الفوضى الاجتماعية لا يمكن أن تفسر جرائم الطبقة الوسطى، لأنها لا تعيش في ظل ظروف الفوضى الاجتماعية.

أخيرا، اتهم شو ومكاي بأنهما مبتذلان في تفسيرهما المقترح للجريمة، حيث ينظر إلى التفكك الاجتماعي على أنه سبب الجريمة، ولكن ينظر إلى الجريمة أيضا على أنها مؤشر على الفوضى الاجتماعية. تدعم الأبحاث الجغرافية الجنائية الحديثة إلى حد كبير أطروحات شو ومكاي. يتم التحايل على نقاط الضعف المنهجية في مناهج البحث الحالية من خلال الاعتماد بشكل أساسي على أرقام الجنوح المبلغ عنها ذاتيا.

---

[3] Broken Windows Theory (Wilson & Kelling) - SozTheo

[4] **للتوضيح مثلا:** إنَّ بعضَ الأمور التي لا تبدو مُهِمَّة، أو قد تكون تافهة لا تُثير اهتمامًا لدينا، فإنَّها تؤثر تأثيرًا بالغًا في جانبٍ آخر بعيد، لا نَدْري ربَّما أنَّه قد تأثَّر بتلك التوافه بنظرنا، وهذا ما توضحه نظرية تأثير الفراشة النَّاشِئة عن النظرية السابقة.

تأثير الفراشة (Butterfly effect):

تقول بأن "رفة جناح الفراشة في مكانٍ ما قد تُسَبِّب إعصارًا في مكان آخر من الأرض بعد عِدَّة سنين."

قد يبدو الأمر مبالغًا فيه، ولكنَّه منطقي، فتيارات خفيفة تحت سطح البَحر على عُمق كبير أو انشقاق لا يُذكَر في قشرة الأرض هناك تُسبِّب فيضانات شديدة وكوارث، ككارثة التسونامي المعروفة، عبر انتقال الاهتزاز وتضاعُف حجمه، وتسلسُل انتقاله من مكان لآخر، فلا تعجَب إذا علمتَ أنَّ هناك نوعًا من الترابُط بين اهتزازِ التيارِ تَحت الماء، الذي قد ينشأ عن ذوبان الجليد في القُطب، أو حتى بسبب تَحرُّك أحد الأحجار في القاعِ، وبين سقوط منزلٍ على رأس أصحابِه في منطقة بعيدة عن مكان الحجر الساقط.

والنظريَّة تُوضِّحُ علاقةً توافُقية في اتِّجاه واحد، وتُؤكد تسلسلاً لأحداثٍ مُعيَّنة وتتاليها؛ لتنتج أثرًا مختلفًا في الزمان والمكان، والصفة، والنوعية، والكَمِّية، والأبعاد – عن الحدث الأول.فأحداث صغيرة من شأنها أنْ تنتج كوارثَ كبيرةً غير متوقعة.

ختاما:

نظرية الفوضى الاجتماعية هي نظرية كلية (ماكرو) تبحث في خصائص مجتمعات مختلفة أو عبر الاحياء. تم تطوير النظرية من قبل شو ومكاي، الذين أثبتوا أن الجرائم التي تحدث اتبع فيها الجناة نمطا ثابتا للغاية على مدى عدة عقود، مع أعلى معدلات للجريمة والانحراف في تتركز المدن الداخلية وتتناقص إلى الخارج من قلب المدينة. هذا يشير إلى أن القوى تعمل خارج الأفراد الجانحين. أولئك الذين يمكنهم العثور على قوى أكبر في هيكل أو تنظيم المدينة نفسها. تشمل العوامل في المدينة التي تم دراستها من قبل الآخرين كمعدل الفقر ، معدل البطالة، النسبة المئوية للأسر المعيشية التي تعيلها نساء، النسبة المئوية لتلك الأسر تحت سن 18، وتدابير مختلفة لمشاركة المجتمع.

أسئلة للتمعن والتفكير:

1. صف كيف يختلف النهج الكلي للفوضى الاجتماعية عن النهج الجزئي للنظر إلى الفرد الجانح؟
2. قم باسقاط لنظرية المناطق الخمس كما شرحها بورغيس على المدينة في الجزائر؟
3. هل يمكننا حل مشكلة الفوضى الاجتماعية ببساطة من خلال استثمار مبالغ كبيرة من المال في المجتمع؟ لماذا نعم ولماذا لا؟